ان الموضوع الفلسطيني هو جوهر أزمة الشرق الاوسط، تتبع، احياناً، بصورة ميكانيكية تقريباً، تقويماتها المختلفة لقوتنا في وقت ما. وبهذا المفهوم، فان كل التحريض والاثارة حول فكرة المؤتمر الدولي في أوساط خصوم ألداء لمثل تلك الصيغة، وكذلك التفاؤل المتجدد لدى أصدقائنا في أنحاء العالم بأن المؤتمر ـ بصيغته التي أقرتها الامم المتحدة وهي الصيغة الوحيدة القابلة للحياة ـ سوف يعقد بالفعل؛ كل ذلك يمثل مساهمة تضاف الى انجازات شعبنا في نضاله اليومي، من غزة الى القدس، الى عين الحلوة، الى شاتيلا. ولما كانت هذه هي جدلية النضال والسلام، فان للمنظمات غير الحكومية عموماً، والمنظمات غير الحكومية الاوروبية الغربية خاصة، دوراً خاصاً واستراتيجياً لتلعبه.

لنوضح، اولاً، وقبل كل شيء، الأرضية: اذا كانت شبكة المنظمات غير الحكومية حول فلسطين (التي تضم العديد من المنظمات التي لا تتمتع بوضع كامل كمنظمات غير حكومية، طبقاً لتعريف المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للامم المتحدة) قد اصبحت تتمتع بهذه الأهمية الملحوظة، فان ذلك يعود، أولاً، الى سبب واضح هو رفض الادارة الاميركية انعقاد المؤتمر الدولي، ويعود، أيضاً، الى سبب أقل وضوحاً من السبب الأول، هو غياب معظم دول اوروبا الغربية عن مؤتمر جنيف في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٣. ان هذا الموقف غير المسؤول، والذي تنقصه المصداقية، والذي يتصف بقصر النظر من جانب أغلبية البلدان الغربية، هو الذي فتح مجالاً جديداً يمكن للمنظمات غير الحكومية الاوروبية والاميركية ان تتحرك من خلاله. واننا نأمل في ان تستفيد هذه المنظمات من عيوب ونواقص حكوماتها، لكي تطور وتقوي نفسها. على ان الهدف النهائي يبقى سياسياً: وهو دفع الحكومات والدول كي تتحرك، وتقرر، وتعمل. بعض المنظمات غير الحكومية يفعل ذلك عن وعي ويمارس ضغطاً سياسيا مباشراً على حكوماته؛ وبعضها يفعل ذلك بصورة غير مباشرة، في مساعدة شعبنا على البقاء على قيد الحياة، ومساعدته على المقاومة، وعلى النضال؛ وكلا الفريقين اصبحا جزءاً، مهما كان صغيراً، من ميزان القوى الدولي.

ونظراً لأن المنظمات غير الحكومية أقرب الى مجتمعاتها من المؤسسات الرسمية، ولأنها تتكون، في معظم الأحيان، من مختلف التقسيمات الحزبية، والسياسية، والايديولوجية، والطائفية، ولأنها، في معظم الحالات أيضاً، ذات طابع دولي في عملها وفي أهدافها، ولأنها، أخيراً، متحررة من قيود العمل الرسمي للدول والحكومات، فان لدى المنظمات غير الحكومية امكانية الاتصال مع الرأي العام المحلي في البلدان الغربية، وامكانية ربط الدفاع عن الحقوق الوطنية الفلسطينية مع النضال من أجل العدالة في اماكن أخرى من العالم، وخصوصاً في بلدانهم.

ان الرأي العام الغربي، ووسائل الاعلام الغربية، هما عنصر في المعادلة السياسية، لأنهما يحدان من هامش المناورة لرجال الدولة، ولأنهما يمارسان الضغوط على السياسيين من خلال تفاعل معقد للنفوذ والمصالح، هو جزء من العملية الديمقراطية في تلك البلدان. في القرن العشرين، اصبح الرأي العام أرض معركة، وحالة، وسلاحاً قوياً يعرفه اعداؤنا، حكام اسرائيل ومناصروهم في انحاء العالم، ويكرسّون طاقة كبيرة من أجل التأثير فيه ومن أجل استخدام وتسخير الرأي العام الدولي، وخصوصاً الرأي العام الاوروبي الغربي لصالحهم. وحدها المنظمات غير الحكومية الاوروبية التي تعبر عن القوى الاخلاقية والثقافية الأصيلة والمتسمة برجاحة العقل في بلدانها هي التي تستطيع ان توفر الاجابات السليمة عن هذه الحملات، وان تتغلب على التشويش والتضليل المنظم.

ومن ناحية أخرى، ان المنظمات الاوروبية غير الحكومية لديها دور عالمي تلعبه بالاضافة الى هذا الدور المحدد، لانها تتعامل مع خصوصيات الموقف الاوروبي. فالقارة الاوروبية التي تحمل